Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفكرة مفهومة وتعبر عنها بأقرب ما يمكن إلى الشكل الذي كان قد أوحاه العقل. هذه الصفات هي التي تجعل الخفي جلياً، وتقدم الغائب وكأنك تراه، وتجعل البعيد قريباً، هي التي تفك المتشابك وتحل المعقد، وهي التي تلزم الفوضوي على الخضوع للقانون...، هي التي تجعل الخفي معروفاً والغريب مألوفاً وتفسر الغامض، وتجعل المفسر معروفاً.

وكلما كان التعبير أوضح والمعنى أصدق، وكلما كان الإيجاز حقيقياً وبداية الكلام أدق، كان التعبير عن الفكرة أفضل، وكلما كانت الجملة واضحة وفصيحة، كانت المنفعة التي تسديها للفهم أكثر. وهكذا، فالتعبير بالكلمة عن الفكرة المختبئة في العقل هو البيان... هذا ما يتحدث عنه القرآن الكريم، وبهذا فخر العرب وتفاخرت الشعوب أمام بعضها. وهكذا فإن البيان اسم جامع لكل كلمة تكشف ستور الفكرة وتمزق الحجب عما هو خبيء العقول، فيعرف المستمع معناه الحقيقي، إذ إن أساس وهدف العلاقة بين المتكلم والمستمع هو الفهم من ناحية والأخبار من ناحية ثانية، والطريق إلى حصول الفهم والأخبار هو البيان» (٥٨، I، ٣٤).

وبصدد أحكامه التي أعلنها حول دور «الكلمة الفصحى» تابع الجاحظ فكرته وكتب عن التأثير الهائل للكلمة على نفس الإنسان، وعن إمكانية تربية الإنسان «بالكلمة الطيبة»، فهي ترفع من قدره: «وإذا كانت الفكرة خيرة والكلمة مفهومة، وإذا كانت ملهمة حقاً، وإذا لم يكن فيها تشويه للتناغم ولا تصنع فإنها تترك على نفس الإنسان أثر المطر على الأرض الخصبة، وإذا كانت الكلمة تتمتع بكل هذه الصفات ويتلفظ بها من يقوم بذلك كما يجب، فإن الله يهبه النجاح وتجد كلمته تجاوباً،